تذوقت حلواً وذقت مراً لذاك عيش الفتى ضروب
لم يمض بوس ولا نعيم الا ولي فيهما نصيب
لذاك من صاحب الليالي تروع في مرها خطوب

قلت لمن هذه الابيات قال لي ومنها ان يخبر امور زمانه ويتنبه على صلاح شانه فلا يغتر برخاء ولا يطمع في استواء ولا يامن ان تبقى الدنيا على حالة او تخلو من تقلب واستحالة فانه من عرف الدنيا واختبر اهلها هان عليه بوسها ونعيمها وانشد بعض الادبا

اني رايت عواقب الدنيا فتركت ما اهوى لما اخشى
فكرت في الدنيا وعالمها فاذا جميع امورها تفنى
وبلوت اكثر اهلها فاذا كل امرئ في شانها يسعى
اسنى منازلها وارفعها في العز اقربها من المهوى
تعفو مساويها محاسنها لا فرق بين النعي والبشرى
ولقد مررت على القبور فما فرقت بين العبد والمولى
اتراك تذكر كم رايت من الاحياء ثم رايتهم موتى

فاذا ظفر المصاب باحد هذه الاسباب تخففت عنه احزانه وتسهلت عليه اشجانه فصار وشيك السلوة قليل الجزع حسن العزا قال بعض الحكما من حاذر لم يهلع ومن راقب لم يجزع ومن كان متوقعاً لم يلف متوجعاً وقال بعض الشعرا

ما يكون الامر سهلاً كله انما الدنيا سهول وحزون
هون الامر تعش في راحة قل ما هونت الا سيهون
تطلب الراحة في دار الفنا ضل من يطلب شيا لا يكون

فان اغفل نفسه عن دواعي السلوة ومنعها من اسباب الصبر تضاعف عليه من شدة الاسى وهم الجزع ما لا يطيق صبراً عليه ولا يجد سلوة عنه وقال ابن الرومي

ان البلا يطاق غير مضاعف فاذا تضاعف صار غير مطاق

فان ساعد جزعه بالاسباب الباعثة عليه وامد هلعه بالدواعي الداعية اليه فقد سعى في حتفه واعان على تلفه فمن اسباب ذلك تذكر المصاب حتى لا ينساه وتصوره حتى لا يعزب عنه ولا يجد مع التذكار سلوة ولا يخلط مع التصور تعزيه وقد قال عمر بن الخطاب لا تستفزوا الدموع وتعثر الاحزان مثل التذكر وقال الشاعر

ولا يبعث الاحزان مثل التذكر

ومنها الاسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفاً ولا يجد لمفقوده بدلاً فيزداد بالاسف ولهاً وبالحسرة هلعاً قال تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم وقال بعض الشعرا

اذا ابتليت فثق بالله وارض به ان الذي يكشف البلوى هو الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
الياس يقطع احياناً بصاحبه لا تياسن فان الصانع الله

ومنها كثرة الشكوى وبث الجزع وقد قيل في قوله تعالى فاصبر صبراً جميلاً انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث روى انس بن ملك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما صبر من بث وحكى كعب الاحبار انه مكتوب في التورية من اصابته مصيبة فشكى الى الناس فانما يشكو ربه وحكي ان اعرابية دخلت من البادية فسمعت صوارخ في دار فقيل لها ما هذا فقيل لها مات لهم انسان قالت ما اراهم الا من ربهم يستغيثون وبقضايه يتبرمون وعن ثوابه يرغبون وقيل في منثور الحكم من ضاق قلبه اتسع لسانه وانشدني بعض اهل العلم

لا تكثر الشكوى الى الصديق وارجع الى الخالق لا المخلوق
لا يخرج الغريق بالغريق

وقال بعض الشعرا

لا تشك دهرك ما صححت به ان الغنى هو صحة الجسم
هبك الخليفة كنت منتفعاً بغضارة الدنيا مع السقم

ومنها الياس من جبر مصابه ودرك طلابه فيقترن بحزن الحادثة قنوط الاياس فلا يبقى معهما صبر ولا يتسع لهما صدر ولذا قيل المصيبة بالصبر

Copyright © King Saud University